سعيد عقل

شعرُه والنثر

مدونة ابو عبدو
أبو عبدو البغل

المجلد السادس

كُما الأعمدة
الوثيقة التبادعية

نوبِلِيس

سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة

نوبِليسُ

للمؤلف

بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

الجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ ـــ الطبعة الثالثة ١٩٩١

قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ ـــ الطبعة الرابعة ١٩٩١

رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ ـــ الطبعة الخامسة ١٩٩١

غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

أجمل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)

لبنان ان حكى الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـــ الطبعة السادسة ١٩٩١

كأس لخمر الطبعة الأولى ١٩٦١ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)

الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ ـــ الطبعة الثانية ١٩٩١

خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة الوثيقة التباديّة

كما الأعمدة

حقـــوق الطبـــع محفوظـــة

الطبعـة الاولى ١٩٧٤

الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

لي صَخرةٌ

مِن أَين، يا ذا الذي آستسمَتْه أَغصانُ،
من أَيـن أَنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبـــانُ؟

إن كنتَ من غيرِ أَهلي لا تَمُرَّ بنا،
أَوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ !

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومن أنا؟ لا تَسَلْ. سمراءُ مَنْبِتُها
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطآنُ.

لي صخرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجم أَسكُنُها
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلكَ لُبنان!

تَوَزَّعَتْها هُمومُ المَجدِ فَهْيَ هوىً،
وَكْرُ العُقابين تَربى فيه عِقبانُ.

أهلي، ويَغلون، يَغدو الموتُ لعبَتَهم
إذا تَطلَّعَ صوبَ السَّفْحِ عُدوانُ،

من حَفنةٍ وشذا أرزٍ كِفايتُهم،
زنودُهم إنْ تَقِلَّ الأَرْضُ أوطانُ.

هل جنَّةُ الله إلا حيثُما هَنِئَت
عيناكَ؟ كُلُّ اتِّساعٍ بعدُ بُهتانُ.

هُنا على شاطئٍ أو فوقَ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكــرُ نَيسانُ !

دنيا الى نُقطةٍ شُدَّت وما هَرَقَتْ
دَماً، ألَا إنَّ خُلْقَ الحُرِّ سُلطــان !

*

كنّـا ونَبْقى لأنّا المُؤمنــون بهِ
وبعدُ، فَلْيَسَعِ الأَبطالَ مَيْدان !

علىٰ شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأشهُبِ،

حوالى مَطَلِّ الوُجود،
في العَبَق الطَّيِّب،

هنالك، والآنَ بين
المُمَهَّل والمُسْهَب،

شددْتُ يَدَ السِّرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

❊

أَنا ابنُ الدهور، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أَنا جُبْتُ ذاتي وأَفرغتُ
أُغنِيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشِيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْضِ مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفّاً من الصُّلَّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجملُ الأعراس

ذكّرنَني، شجَراتِ، اللوز، بالأبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطَّرُ... تسترخي مدلَّلةً
على ذراعِ فتىً كاللَّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُـــه هيَ، إن دسَّت أناملَهـــــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

الله يا شجــراتِ اللَّـــوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أشْهى الحسنِ ما أمرض!

مِن الزمـانِ أراهــا اليــومَ راجعـــةً
تمشي الـى بيتنـا في طَرْحـةٍ أعـرض.

ودِدتُ لو أتلقَّاهـــا وأحبِسَهـــــا
في القلبِ شقراءَ شُقْرٍ كالشعاعِ الغض،

أغنيَّـــةٌ هيَ في بالـــي وأسمعُهـــ
مهبَّ ريحٍ دنا أو ناسِمـاً أعـرض...

لا لا تخيَّلتُهـــا إلا وزَنْـــدُ أبـــي
يلُفُّ منها عروساً خصرُهـا ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأميرِ !

بيقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مأتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأْر،
وفيه من احتضارِ النسور !

*

هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

فيرى الأمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرِ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُدور،

وإذا وجهُ عين صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.

*

بسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأميرِ الصغير،

أرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلُسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلَّى الصَّدى بِصُمّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير !

*

وتنادَوْا من الشِّمالِ الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنَّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصْبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

❋

كاد وجهُ الأَمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير !

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإِذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإِذا البحرُ من دُخانٍ حَرور،

مِن عِدىً بُكَّرِ العَتادِ، تكاد
الأَرضُ ترنو إِليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفِّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأَقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامَّحى عن عَدِيِّه، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أَميرٌ
مُجهَدُ الطَرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِحْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفّه في سرور !

حَملَته الى شواطئِ لُبنانَ،
أواذِيُّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، بازَ القصور !

*

داسَ في أرضه الأميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصِّي كتابَ عهدٍ نضير!

قَلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أَنت تَيرونُ! أَنتِ عجلونُ! أَنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير!

أَنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أَنتفضْ لذكرى الأَمير!

حَدِّثي! حدِّثي! ففي لونكِ الناحِل
أَطيافُ جيشِنا المنصور!

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ معَ الأُردنّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجبٌ طَيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أجفَل السهلُ للطِّعانِ ، وأغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدور،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثير،

وتخالُ الأميرَ، في جَيشِهِ العابسِ،
يمشي على ابتسامِ الثغور،

ظلَّ هَزْجُ الفرسان يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطرير،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّركِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفور،

ما رآه الأميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزور،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبُتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأطلّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ الله، لستَ لي بأسير،

أنتَ حرٌّ ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأْ العينَ من سنى التحرير ! »

*

نكّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبٍ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أُسْتانةَ،
نجوى حِداً ونجوى نفير،

أيخلّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أيخلّي أُميرَ لُبنانَ تَيَّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليَّاتِ، خلفْها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأرض،
تُغري النُّضارَ من أوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربِّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأُمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور!

مِن رجالٍ أوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلِّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أتيِّ الشرور،

أعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبة البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إثْرَ قلعة تُسْلِمُ الأبراجَ،
إلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أَبت أن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأمير !

الهُنَيْهَة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدَّاه العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرِ مُتَّهَمِ
[illegible]

دقَّ كالبرقة، شُكَّت
خيمةً فوق الأُمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجِّرْهُ هِمم،

أو بِناءٌ من خيالٍ
لم يُرغْرِغهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطِقُها
السِرُّ الأصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَمْ !

تكسّرت الأسيافُ

تصبّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّرَ الآهَ وردةً
وأنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

---

* في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أنا، بعدَ ما عَلَّمْتَنيهِ، تطَلَّعَتْ
جهاتي إلى نفسي ونفسي إلى الزُّهدِ.

هُناك التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأقسو أنا أقسو، أُريدهُمُ لها،
فإن جَبُنوا طُلْتُ الجناحين لي وحدي.

*

كأنّي مهبُّ الرّيحِ، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأنّي غموضُ الليل، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيّةٍ إلّا ورقّصها عندي..

أقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزميَ من بعدي

وأقرأتني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعرِ عاليةِ النهدِ،

لَتُفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأفقُ من ردِّ...

تقول بها: «خبَّأْتُ، يا ليلُ، فيكَ...» ولْيُكمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هي الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى،
ونُنقَشُ من ديوانِ شِعرٍ على الجِلْدِ...

ذَرُوني... سأَطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أَرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد!

لِحِبْرِ هَمي كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأَقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أَنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأَبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ الّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تَعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّة رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أنا واحدٌ منهم، فلولا أنينُه
لكانتْ لِقرطاسي جفاءَةُ مُعْتدّ.

يقولون بي غالى ؟ أنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1]، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

١) الدروز.

على ريفِ لُبنانَ نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ،

وأنَّى مَضَوْا ظَلُّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أَرْضِ العَرينِ هَوىَ الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أَو تُغرِّبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليس الى شَدِّ.

أَنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتَسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْدِ.

أَعودُ اليها الآنَ هل طابَ تَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعدِ ؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تَزورُني
فأَقرأُها مِن أَخْمَصَيْها الى العِقدِ،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي،مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أو للمجد، أشهى من الوجد!

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ تَنْسَى الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أشَلّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَذْرِيًّا على الشَّعَر الجَعْد ؟

أبيضاءُ أم صَهْباءُ ؟... دَغْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تَمتَّعْ... صِبا حسناءَ ذاكَ أم آنه
قصيدةُ مَن إن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البَرْقِ أو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تَنسى رنينَه
ومِذْرارُهُ ما زاد عن حَبَّةِ الرَّند،

تكسَّرتِ الأسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّةٌ، إنه مجدي !

من وردتين اثنتين الشمس ...

سيفٌ على البُطْل أم شيماتُكَ الحُرُمُ ؟
ـ يا شِعرُ خَلِّدْ ـ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيفَ مَرُّكَ بالجُلَّى ؟ سألتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لك الظُّلَم ؟

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غَزَّارَةٌ كالصحـو، مُلْتَفَتٌ
كأنَّما الصَّقْرُ في تَحديقِـه نَهَـمُ،

صَدَّقتُهُمْ كُلُّ هذي صُوَّحَتْ، طُوِيَتْ،
صَدَّقْتُهم فَتًّ في عَزْمِ الشَّبا الهَرَم،

صَدَّقْتُهُـم عَلِمـوا بالعَبقـريِّ مضى،
لكنهـم بِشموخ الـرأسِ ما عَلِمـوا.

*

بالأمس ديـوانُكَ استنجدتُـهُ عَبَقـاً
منـه الخَـزامُ، عَلِيّـاتٍ به القِيَـمُ،

فَخِلْتُني فَلَكيـاً، مِثْـلَ البـراعة لي،
حَولـي يَدورُ السُّهى يَجثو ويَستَلِمُ،

أبابـلٌ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَـلَتْ
إلَـيَّ أشيـاءَ أم غنَّانِـيَ الهَـرَمُ؟

ولعِبْتُ، أولعْتُ، ودِدْتُ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، ووردُ الزَّهرِ والأكَمُ!

*

ما لي أغنيكَ: «أهلي النورُ منبتُهم،
عالونَ كالأرزِ، جارُ اللهِ، ما رغموا

ما نكّسوا هامةً إلّا لخالقِها
إلّا لِلُبنانَ ما دانوا وما احتكموا،

في إثرِهم أنا دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ من لُبنانَ والقِمَمُ،

إلّا إليكَ إلهي، ما ملكتُ يدي
أجوعُ؟ من شرفي خُبزٌ ومغتنَمُ،

ويومَ مرَّ ببالٍ أنْ تكونَ لنا
يراعةٌ بالهُدى والنُّبلِ تضطرِمُ،

على السنى وعلى شَكِّ القنا رَبِيَتْ
على الزئير ،أُوانـاتِ الحِمَـى أَجَـم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخرَ الدين مُنتهِراً:
« جنودَ عنجرَ، هذا يومُها الهِمَم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخى وتلتفِتُ القِيعان والرُّجُم،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم،
صِنِّينُ يَغوى بِهم تِيهاً ويَنسجم،

لله ما مادَ مِن بُرْجٍ، وزُلْزِلَ عن
سَرْجٍ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا،

هُمُ الأُولى أَخذوا عن راسياتِهمُ
أَنَّ القِلاع وأَنَّ الراسياتِ هُمُ !

حَتَّى إذا قال: «كُفُّوا، قد عفوتُ أنا،
بِحسبيَ النَّصْرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِمُ»،

تَلاحَظَتْ مِن أساها الخيلُ صاهِلَةً،
وفُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم!...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ ٱلعَلَم!

شِعْرُ الرجولَة، شبلي، أنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْرِ وَقْعُ خُطىً
على العُلى لَوَّنَتْ مِن شأوِها الدِّيَمُ.

أَلْفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسْرِجَتْ أَبهى ولا الدُّهُمُ.

أَأَنتَ أم هُوَ مَن خَلَّى الجَمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمِ؟

خَلَطْتُ بَينكُما حتَّى لَأَسأَلُهُ
أَشاعِرًا كانَ حِينَ الطَّعْنُ مُحتدم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يَوم اختالَ في يَدِهِ
ما سَوفَ تأْخُذه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أَنتَ المُرَوِّعُها الأَفْكارَ تأْسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امتشاقٌ لمعنًى رَنَّ يارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دِمُ.

تُغري ويُغْري فَلَفْظٌ منكَ هَزُّ قناً،
ومنه قَطْعٌ تَقولُ البيتُ يُخْتَتَم.

أرهفتُماها القَوافي حَدُّها لَهَبٌ،
أجريتُماها المَواضي سَيْلُها عَرِمٌ.

مَرَرْتُما فوقَ دُنيانا معاً ومعاً
لاعبتُما الموتَ حتّى لَهْوَ مُنْهَزِم.

يا صِنوَه مَنبِتاً ذاك الذي نَحتوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أَنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أنا،
في يومِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتينِ اثنتينِ الشَّمسُ أَرفعُها،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِم !

في البال خلف الحرير الزهْرِ خاطرةٌ
تململت قُلْتَ حُسنٌ بالهوى بَرِمُ،

ــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أنا أم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

حَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آلْخلْقْ، ليس أَجملُ من
إطلالةٍ راكعٍ في بابها العَدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نفسي يُخَيَّلُ لي
أني أنا قُبلةٌ حَرَّى وأنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومَن أَثِموا.

سَقيتُها لا دمُ العنقود أطيبُ لا،
ولا الخلودُ ولا ما فتَّقَ القِدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ الستّةُ العُظُم.

رَويتُها لي، لِبالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم!

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطِفُها
إلّا ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم!

ومَن رَقى الموتَ؟ مَن قالَت أصابعُهُ
سأَسْحَر السِّحْرَ حتّى تُبْعَثَ الرِّمَم؟

أمانَ عَينيكَ، بيتَ الشعر، أنت لها،
يا أَنْجُمُ ٱرْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم!

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُم،

فَأَنْتَ والكَونُ تيَّاهان: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّهُ حُلُمُ.

*

عالٍ كما أنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطدِمُ،

أتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفَتحت
كَفٌّ من الله ما الأَزهارُ؟ ما الحِكَمُ؟

شِعرٌ إليَّ يَشُدُّ المنتهى جَزِعاً
قَلْباً، ومِنهُ بقلب المُنتهى أَلَمُ.

سارَرْتُها الشمسَ، أيُّ الخَمْر يُسكرُها
حتّى أُصُبَّ؟ فقالت: «يُسْكِرُ الشَّمَمُ!»

النَهران

وُلدتُ سريري ضِفَّةُ النهر، فالنهرُ
تآخى وعُمري مثلما الوردُ والشَّهرُ،

وكان أبي كالْمَوج يَهْدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ!

---

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَـقُّ ؟ دُفْعَـةٌ
كما السَّيلُ عنه انشَقَّ واخضوضَر القفر.

وعُمْــرٌ شَرارٌ ليس يأْسُنُ ينتخـــي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأنك خَطٌّ كالشهامـــــة واقِـــفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

ومـا قَلَـمٌ بالكَــفِّ إن لم تَهِـم به
مواضٍ وتَـحْسُدْهُ الرُّدينيَّةُ السُّمْــر !

تَوحَّـــد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْــرُهُ،
ومَـن بتلقـي طَعْنِــه افْتُتِــنَ الصَّدر،

أنـا عنهمـــا ذَيِّـــنِكَ الشائِلِيـــنِ بي
أخذتُ ولـم أسكَرْ، وبي تَسكَرُ الخمر !...

كأنّيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر!...

*

تُحَبّبُنِيهِ «الدونَ» كُلُّ ترابةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ؟

كلامُكَ يُغريني، يُرنِّحُ خاطري،
يُذكِّرني بالأرض، أرضي اللّها ثَغْرُ،

تُقَبَّلُ حتّى لَهْي أُمٌّ... وطفلَةٌ
رِضًى... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أنا لُبنانَ أَجْمَلَ ما شَدا
كَنارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنه نَسْر...

وأنْتَ تُغنِّــي رُقعــةً من جبالهـــا
جبـالٌ، عليهـا مُتعَبـاً يَتَّكـي الدَّهـــر.

كِلانـا شَغــوفٌ بالضِّفـــاف وأهلِهـــا
يُنَشِّئُهُــم نَبْــعٌ يُخَلِّقُهُــم زهـــر،

كَنبعهـمُ أعطَــوْا جديـــداً وطَيَّبـــوا،
كزهرِهِـمُ الدنيـا، وكالزهـرةِ افتـرُّوا...

تُغنِّي هدوءَ «الدون»؟ عَفْوَكَ: أهلُـهُ
إذا بَعثـروا فَجْـراً أهَـلَّ لهـم فجـر!

جَلَلْتُكمـا عنهـا فلا «الـدونُ» هادئٌ
ولا أنت، إلاَّ أن يَلُفَّكمـــــا السرُّ.

أُسائِــــلُ: «هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثِلكما العَصْرُ؟

ونَهْرُ الرجـالِ المُنتهـي خَلْـفَ أنجـمٍ

وأنت تَخُـطُّ النهـرَ، أيُّكُمـا النَّهـر ؟ »

*

حَبيــتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَـــرَتْ،

ومَن قال: صوتُ الناي أجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميـلُ علـى القِرطـاس تأْمُرُهُ: آمتثــلْ

غَمامـاً، فيَسخـى ليسَ يَجْرحـه الأَمرُ،

إخـالُ الرِّقـاعَ الـخُضْرَ بِتْــنَ حبائبــاً

إليكَ... فها عُنْقٌ يضِجُّ وها خَصْرٌ !...

وأنت حَواليهـــنَ كَفٌّ عطيَّـــــةٌ

كما الله إنْ قَطْراً أرادَتْ هَمى القَطْرُ !

وإن أَنتَ قصَّفْتَ الـــغُصونَ تلألأتْ

غصونٌ عليهـــنَّ الطيـــورُ لهـــا كَرُّ.

تُعاتِبُ أنتَ الشَّيحَ والريح، باعداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيحُ يصفرُّ !

ألا أين مِنْكَ الصاحبون ؟ هَزَزْتَهُم
بقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْر أو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفْظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشِّعر، أنت بدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْر لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُـــزُّونَ كونـــاً، يَنزِلـــونَ بآخـــرِ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر!

*

إليكَ بنَفْـحِ الأَرز جَمًّـــا بعشّـــهُ،
وعُلِّـــقَ عُودُ اللهِ في الأَرز. فالنَّقْـــرُ

وشيكٌ. كُنِ العـــوَّادَ وآضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِها العَمْـرُ والغَمْـر.

وأنتَ من اللائـــي يُحِبُّـــونَ. إنهـــم
على أُرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِـم، كُثْـر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليـه رنـا مَن أُلْهِـمَ السِّفْـرَ، والسُّفْـرُ،

فلَـمْ يُعْطَـهُ من سار بالشّعر لاهثـــاً
ولكنَّما مَـن جـاءَ يَقصِـدُهُ الشِّعـر.

اللون الآخر

بيالـي مررتَ اليـوم، فَلْيَشتعِـلْ بالـي،
كأنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأنكَ لونٌ في الطبيعـــــةِ آخَـــرٌ،
أو آسْمٌ كطيرِ الرُّخِّ أو شجرِ الضّال.

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطـــرةٍ أغريتَهـــا وحَبَسْتَهـــا
بلفظٍ، بكـى غيــرانَ لؤلــؤُ لآلِ .

إذا القـولُ ما شَدَّ الربيــعَ، ولا شدا
على كلِّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَـم يَسترخْ فيـه الزمـانُ، وتشتـبكْ
نجومٌ بأزهارٍ، كما المِعصمُ الحالـي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ .

*

حَببتُكَ تُغنـي العَصر، تُطلِقُهُ علـــى
الرِّيـاحِ، تُمَنِّيــهِ بإكثــارِ إقـــلالِ ،

تُلقِّنُــه كيـــفَ افتتـــانُ أصابـــعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أغلالِ.

فلا صَغُرَتْ أرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنها الدنيا لِجَوَّابِ آمالِ !

لِمَنْ بَرِمَتْ منه يدانِ رماهما
بأن تغدُوَا في السكب دفقةَ شلاَّل !

فلا شيءَ مما طاب شيئاً ولعبةً
تشيل الرُّبى، إلاَّ تأتَّى لشيَّالِ !

*

كفى أن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: باني الضوءِ بانٍ لِأجيال.

*

ومَنْ ماردُ الباب الذي قلتَهُ ازدهى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَه حُلماً يُخَيِّبُ ؟ ويحهم !
أما واهمٌ بالحُبِّ أشرَفُ مِن سالِ ؟

مُقــامُك في أُرجائهـــم كان هَتْفَـــةً
بموتـى، وكـان المستجيرَ بأَظـــلال:

تَخالُهُـمُ دنيــاك، إِذْ هُمْ بَريقُهـــا...
وآلهـــةً، إِذْ همْ تماثيـــلُ صَلْصال...

*

سيَبقى لك النَّسجُ الـذي أَنت ربُّـه،
ولِـلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بالٍ.

غُبارٌ على الثَّوب الـذي أَنتَ خالـعٌ
لَمِنْـــهُ عروشُ الأَرض تُشرى بمِثقـــال.

وإن أَنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وباباً، فما خَزْنٌ ومـا فَضُّ أَقفـال؟

*

سلامٌ على الغزَّارةِ احمَـرَّ وجهُهـــا
ولكـنْ كما الـوردُ الوديـــعُ بإِدلال،

أقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلي معي
آلزمانَ خطَطناهُ كما الوردُ في البال!

ومنّا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومنّا العُلى فليمّحِ الطلَلُ البالي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ! حِصانٌ راح يَغوى بخيّال!!

نهر الذهب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُكِ نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أَهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، ستَرِق...

أنا مَرَّ أُسبوعُ عمرٍ ولمّا
أَمُرَّ بدارتها أُسترق

إلى حُسنها، قَلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأُغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشِّرْنَني أُنني مُرتزق...

فراشاتُ، أَيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أَنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأَنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أَنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربِّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ ! إلاَّ أنَّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمالٍ رُحتَ ترسُمُ طيفَه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضَّرب،

* في احتفال ببعلبك بعاشوراء.

ومـا لُغـةُ الأَقلام من لُغــةِ القنـــا ؟
اثنتان؟ سأَلتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطـــــرَبُ لا إلاَّ لغـــــزَّارةٍ جرت
كمـا الفَـرَسُ الدَّهمـاءُ طَيِّبَها النـهب،

إذا صَهــلت غِبَّ التَّلاحُـــم ردَّهـــا
أخو مِرَّةٍ في الـدَّوِّ من وقْعِه رُعْب،

يَذود عن الذِّمَّـــات ليس يُبيحهــــا،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حبـــبتُ شمائلـــي،
لَهُ اللُّغتانِ: القـولُ يَشمَـخُ والـعَضْب،

بِهـــذاك يُعليهـــا، بهـــذا يَزيدُهــــا
أَيكبـو ؟ ولكـنَّ الأَصائـلَ لا تكبـو !

لَأشرفُ مَن قاسى، وأَسمَحُ من سَخى،
تقول على رَملِ البوادي له حَذْب.

بَلاغتُـه الليـلاءُ أُسُّ أريكـةٍ
فكيفَ بما أَبلى الذي وثْبُهُ الوثب؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ؟ بَكِّني وابلكِ، يا حُبّ!

تَخيَّلتُهم، أهـلَ النهـى من أُمَيَّـةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: «لِهذا الشَّهْب نُكِّست الشُّهْب!»

*

تَخيلتُهم يومَ الغديـر وقـد سمـا
سماوِيُّهم: «بَلِّغْ!»، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « أَلا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكـانت إماماتٌ وكـانت مَطـارحٌ،
مَحَطٌّ نُزولِ الله أو يَقْرُبُ القُرْب،

ففـي كُلِّ أرضٍ بعدُ بيتٌ مطـيَّبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَـن لا يُحِبُّ البـيتَ، سيـفُ عِلِيِّـه
جميلٌ، وذاكَ النَّهْـجُ كوثَـرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كمـا الأَربـابُ في طَيلسانهـا،
ألا فَلْتَداوَلْـهُ وتَرتـعشِ الكُـتْبُ !

سائليني

سائِليني حين عطَّرتُ السَّلامْ:
كيف غارَ الوردُ واعتلَّ الخَزامْ،

وأنا لو رُحتُ أسترضي الشذا
لانثنى لُبنانُ عِطراً، يا شآم!

ضِفَّتاكِ ارتاحتا في خاطِري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّنِّ وحام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهـــر أم عَنْدَلَـــةٌ
أنتِ في الصَّحْوِ وتصفيـقُ يمـــام ؟

أنـــا إن أودعْتُ شِعـــري سكـــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتـــــي، يا بَرَدى،
ذكريـــاتٍ زُرنَ في لَيَّـــا قَوام،

ليلـــةَ ارتـــاح لنـــا الحَـــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاَّ شَجٍ أو مُستهـــــام،

وتَهـــاوى الضوءُ إلاَّ نَجمـــةً
سَهِـــرَت تُطفِـــي أُوامـــاً بأُوام،

سألتنــــي مِن دلالٍ قُبلـــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأسَ غرام،

وارتَـــمت يَكْسِرُ مِن هُدْبِ لهـــا
مُسهَبِ الطُّـــولِ حيـــاءٌ واحـــتشام،

وَجِـعَت صَفصافــــةٌ مِن حُسنهـــا
وعـرى أغصانَهـــا الــخُضْرَ سَقـــام،

فحَسَرتُ الشَّعـــــر عَن جَبهتهـــا
أسألُ الـحُسْنَ أفـــي الأرض أقـــام ؟

وتَأنَّـــيتُ أملِّـــي خاطــــــري
قَبـــل أن يحجُبَهـــا ضَمُّ الهُيـــام،

أو لِخَـــوفٍ بي علـــــى ثانيَــــةٍ
سَوف تمضي فمُنى العُمر حُطـــام،

لم تَدَعْ لي شقـــوةً أحيـــا بهـــا
ورَنَت يَمـــلأُ عينيهـــا ابـــتسام،

أومأتْ لي... فامَّحى كُلُّ سنىً
مرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذبِ المَلام،

وإذا قُبْلتُنا فَرٌّ إلى
عالَمٍ أبهى وسُكْنى في مَنام.

تَقِفُ النَّجمةُ عن دورتها
عند ثغرَينِ وينهارُ الظَّلام.

*

طَوِّفي بي، ذِكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي أطيابَ ذيَّاكَ الوِئام،

وأمْرَحي بينَ دمشقٍ وحِمى
تلكُمُ الصفحةِ مِن رِفعةِ هام،

خَطَّها صِيدٌ أُباةٌ غَصَبوا
حَقَّهم، والحَقُّ غَصْبٌ أو حِمام،

غالَبـــوا السَّيـــف عريقـــاً حَدُّهُ
فانثنى السيفُ وفـي الحَـدِّ احتــرام.

هذه « الغوطَــةُ » أوفـــى تُربـــةً
بهـمُ أم جبـل « النَّـــبْكِ » القُــدام ؟

كَم فتـــىً بات فراشاً سرجُــــهُ
نامَ والكَـفُّ علــى سَيــر اللِّجــام !

وفتــــاةٍ خَلـــعتْ أسوارَهـــــا
تَشتـري حَلْياً لهــا غيــرَ كَهــام[1] !

وشجـــاعٍ لم يَسَعْـــه عُمـــرُهُ
راحَ يحيا سَعَةَ المــوتِ الـــزُّؤام !

---

١) من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسُدَ الثَّـــــورة ! وُسُدتُــــــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنـــا الأَرضُ الحَـــرام،

طَيِّبَتَـــــه من جَنـــوبٍ نَفحـــــةٌ
عَبــقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَـــلٌ[1] يجمـــــع في أَصلابــــــه
دَعــةَ السَّفــح الـــى عِزِّ السَّنـــام،

التُّرابـــاتُ به أهْــــلُ وفـــــاً
ومِـــحَكٌّ يَزِنُ الحُــــرَّ الهُمــــام،

ولــــه أهلـــونَ إن يَنْتَسبــــــوا
يَشمَـــخِ الرُّمْـــحُ ويَعْتَــزَّ الـــحُسام.

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّيثِ[1] في آجامِه:
واحِدٌ نحن إذا الشامُ تُضام،

سائِلِ الأَبطالَ: هل تُنسى لنا
رِفْقَةُ الأَخذ بأَغراضِ جِسام؟

ولَظى الحِرمانِ مِن أَهلٍ ومِن
غَفوةٍ قَمراءَ في تلكَ الخيام؟

وٱلْتقاءُ الموتِ ضَنًّا بِعلًى
وأَحايينَ اشتياقاً لاقتحام؟

حُرُماتٌ بيننا أَنقى سنًى
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

١) سلطان الاطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأَلَفـــي المَـــرَّ بسطحـــيِّ المُنـــى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَـوام،

العبودِيَّـــاتُ مثْنـــى عندنـــا:
في الحِمَـى غازٍ وفـي العقـل قَتام،

تِلْكُـــمُ دالَت وهـــذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْـــري فَتَفْـــتَتُّ العِظـــام.

آهِ! مَن لي بغـــد أدنـــى الـــى
سَلسَلِ الحُلْـمِ وأبهـــى من مرام؟

تطـــأُ الشامُ به مُختالَـــةً
ساحـــةَ المجهـــول أو شأوَ الأمام،

الحضـــاراتُ هُنـــا منبِتُهـــا
شُدَّتِ الدُّنيا الى هٰـذي الأكـام.

*

ظَمِــئَ الشرقُ، فيــا شامُ اسكُبــي
واملأي الكـأسَ له حتى الجَمــام!

أهــلُكِ التاريــخُ من فَضْلتهــم،
ذكْرُهُــم في عُرْوةِ الدَّهــرِ وِسام.

أُمويُّــون فإن ضِقْتِ بِهِــم
ألحَقُــوا الدُّنيــا ببستــان هشام.

أيُّ رأيٍ[1] أنتِ ما نشأَتِــه
توأَمَ السَّيْـفِ لِفَصْلٍ واحتكــام!

خلبَ الدُّنيا بمــا افتَــنَّ، اهتِفــي:
كبُــرَ المرمــيُّ يومَ الحــقُّ رام.

*

1) فارس الخوري.

تَمتم المَجدُ وناغى حُلمَهُ
فوق كفَّيكِ إذِ المجدُ غُلام،

وهو حُلْمٌ لو درَوا أَين انتهى
لأتتكِ الأَرض حجًّا لمقام.

يا طريقاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتةَ الدنيا وإِجلالَ العِظام،

بَيْن تَخْمَيكَ تَجلَّى للنُّهى
مَطْلِعُ الحقِّ وتعليمُ السلام،

فإِذا جُدِّلَ عن مُهرتِهِ
شاولٌ وانكبَّ في ذاكَ الرَّغام،

رُحْتَ تَلقى مَصرَعَ العقل اذا
كانَ للعقل معَ الحَقِّ اصطدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سقَت
مرجَلكِ الخيراتُ في الغيثِ السِّجام !

عِشتُ يَغنى بِكِ شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام !

وتؤاسيني، إذا حَمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيَّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا ؟ أُغنيَّةٌ لم تكتمِلْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِـــيُّ نَمَت في «دُمَّـــــرٍ»
أوَّلَ الدَّهـــر ومـــاتت في الفِطـــام،

فإذا عادَت حيــــــاةً طَفِــــــقَت،
من حَنيـــنٍ، تَجِـــدُ الدُّنيـــا شآم.

*

أنـــا لستُ الغَـــرِدَ الفَـــرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمـام.

أنـــا حَسبـــي أنني مِن جَبَـــلٍ
هو بيــــــــن اللهِ والأرضِ كلام.

قِمَـــــمٌ كالشمس في قِسْمَتِهـــــا
تَلِـــدُ النُّـــور وتُعْطيـــهِ الأنام.

غنّيتُ مكّة

غنّيتُ مكّةَ أهلَها الصيِّـــدا،
والعيدُ يملأُ أضلعي عيـــدا.

فَرِحوا، فلألأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُدى زيدا.

وعلى آسم ربِّ العالَمينَ علا
بُنيانُهـــم كالشُّهبِ ممـــدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهـــم،
أَهلـي، هنـاكَ، وطـيِّبِ البيـدا.

*

مَن راكـــعٌ ويـــداهُ آنستـــا
أنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أنـا أينَمـا صلَّـــى الأَنامُ رأتْ
عينـي السَّمـاءَ تفتَّـحتْ جُودا.

لو رملـــةٌ هتـــفتْ بمبدِعِهـــا
شَجْواً لكـنتُ لشجوِهـا عُودا.

ضجَّ الحجيـجُ هنـاكَ فاشتبِكـي
بِفمـي هُنـا يا وُرْقُ تغريـــدا.

وأَعِـزَّ، ربِّـي، النـــاسَ كلَّهُـــمُ
بِيضاً فلا فَرَّقْتَ أَو سودا:

لا قفـــرةٌ إلا وتُخصِبُهـــــا،
إلاَّ ويُعطى العِطـرَ، لا عودا.

الأرضُ، ربِّي، وردةٌ وُعِـــدتْ
بكَ أنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجاً
يُرجى، وكُـــلُّ سِواهُ مردوداً.

نَسَمَتْ

نَسَمَتْ من صَوب سوريَّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أشقرٌ، أجملُ ما شعَّت الشمسُ
أو طيَّرتِ الريـحُ اللَّعـوب،

شَعَـرٌ أُغنيَّـةٌ قلبـي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنـا إن ساءَلتُ: أيُّ مضَّنـي ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجـيب !

مثلَما السهلُ حبيبي ينـدري...
مثلَـما القِمَّـةُ يعلـو ويغـيب...

وبـــــه مِن بَرَدى تَدفاقُـــــهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَـــهُ ذاتَ تلاقينـــا علــــى
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشيـــاءَ لا أعرِفُهـــا
كالعصافيرِ ثُنائي وتَـــؤوب،

هو سَمّانـــي أنـــا أغنيَّـــةً
ليتَ يدري أنَّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌّ ونَهْـــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شآمُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجدِ في الكُتُبِ!

قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمةٍ،
بعدكِ استولى على الشُّهُب.

سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأسُ
بالكأس دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنب؟

لي ربيـــعٌ فيكِ خبَّأتُـــــه
ملءَ دنيـــا قلبـــيَ التَّـــعِب،

يومَ عيناهـــا بساطُ السمـــا،
والرمـاحُ السُّودُ في الهُـــدُب،

تَلْتوي خصراً فأُومـــي الـــى
نغمـةِ النـــاي: ألا انتحِبـــي!

أنـــا في ظلِّكَ، يا هُدْبَهـــا،
أحسبُ الأنجُـــمَ في لُعَبـــي.

*

طابتِ الذكرى، فمَن راجعٌ
بي كما العودُ الى الطَّرَبِ؟

شامُ، أهلـــوكِ إذا هُمْ علـــى
نُوَبٍ قلبـــي علــــى نُوَب،

أنـــا أَحبابـيَ شِعـــري لَهُـــمْ
مثلمـا سيفـي وسيـــفُ أَبـــي.

*

أنـا صوتـــي منكَ، يا بردى،
مثلمـــا نبـــعُكَ مِن سُحُبـــي.

ثَلْـجُ حَرْمـــونَ غذانـــا معـــاً،
شامخـاً كالعِـــزِّ في القُـــبب.

وحَّـــدَ الدنيـــا غداً جبـــــلٌ
لاعبٌ بالريـــحِ والحِـــقب!

مُرَّ بي

مُرَّ بي، يا واعِداً وعَدا،
مثلما النسمةُ من بَردى،

تحمِلُ العمرَ، تُبدِّدُه،
آهِ ما أطيبَهُ بَدَدا!

رُبَّ أرضٍ من شذاً وندىً
وجِراحاتٍ بقلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهوى لَحْظُ شآميةٍ
رقَّ حتى قلتَه نفدا،

هكذا السيفُ ! ألا انغمدت
ضربةٌ والسيفُ ما انغمدا.

واعِدي، الشمسُ لنا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتعبْ فنادِ يدا...

أنا حُبّي دمعةٌ هجَرتْ
إنْ تَعُدْ لي أشعلتْ بَردى...

مَن شاعِرٌ

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعـةٌ لك، قَلَّ الهَـمُّ في الـــغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمـع، هَل فرَّت بلابلُنـــا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أو لَسِنِ؟

• في ذكرى الاخطل الصغير.

أَنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأَجِدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تَكُنِ!

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أُضلاعٌ له وحِني،

سِرُّ الرَّنينِ، وهل إلأَّكَ يَفضَحُهُ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ!

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشِّعر، قُلْهُ صدىً
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طَنَّت على الزمنِ.

ما العمرُ؟ ما نحنُ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمام وغُنْجَ الزنبقِ الغَرِنِ؟

تَشظِّياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُبَيبةَ الشيء، وجهُ الله مِنه دُنِي.

فنحنُ هٰذون، لمَّا نبْقَ في سَفَــر،
علـى الرَّنيـن، نجومـاً رُحَّـلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الـبَتِّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجَّ، ويُـق الآهَ سيِّـدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَنَنِ،

نَسْجُ التنَهُّـدِ، لكـن لا يُهَلْهِلُـهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
ببعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت علـى عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْرَكَ، ما أُمـِّي تهدهدُنـي؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أَحبَّهـــا لـم تَزل في قلبــه خَبَــــراً
ولم يَحِنْ آنُ عينيها... ولم تَحِنِ...

شقـراءُ شقـراءُ قلتَ الصخْـرُ مسكِنُهـا
قد حَدَّثَتْـهُ بهـا عصفـورةُ الـــوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفـــاءَةُ العينيـــن تُسكـــرُه،
يقول: لا تَفْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْـقَ الـذي أنتَ! لا أبهـى لِمبتهـجٍ
من السعـادةِ لم تَخشَنْ ولـم تَلِـــنِ.

وقـال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتـــي،
ومـا تمايَـــلَ بيـــن السِرِّ والعلـــنِ؟

خطـوطُ قامتهـا في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنهـا اشتَعـلَتْ في بالِ مُفتَتِـــنِ.

في ظِلّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمرِ العالـي علـى الدُّجَـنِ.

سَجينَـةُ الصخـرِ، هل إلا غلائلُهـــا
سِجْنُ الجمالِ؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعـلَّ أن تُلهمينـــي كيـــفَ أبلُغُهـــا،
وكيـف أخطَفُهـا من قَبْضَةِ الـحُسْنِ،

أشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لُعَبـي،
أُعيي الصُعوباتِ، أُغري عُقدَةَ السَّنَنِ،

حتّـــى إذا التمـــعت غُراً ملامحُهـــا
هَتَفْتُ أجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أفتنَ الأخذَ من شَذْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْق، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ وحُطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ؟ أكمِل. لكَ الكاساتُ، أطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِلْ ولم تَزِنِ.

وكان أن نالها ذيّالِكَ الفَطِنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ!...

عروسُهُ هي وافَتْ أم قصيدتُهُ؟
فَدَيتُ أُمِّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ!

*

مَن شاعِرٌ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأبراجِها في الأُفْقِ لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَفٌ! فاسمَعْ تنفُّسَها
بِالنُبْلِ، قلتَ: بِهِ قَبْلَ الجَمالِ عُني.

أكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريَّا غصونِ الأرزة اللُّدُنِ.

أللهِ نحن! أما نحيا لأغنيةٍ،
نَشوى بها لفتةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفرِغْهُ منه أنِ آسكُنْ أو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
نَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَختَزنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أرضٍ غَرَّهُ ففَني...

لِلفقر قلنا: استرحْ، للمستبدِّ: أشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأْخذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أسامٍ... فادْفِنْ، رفشُ، واندفِنِ...

*

غَنَّيـن غنَّيـن، يا كاسات، قُلْـــنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقـودُ في حَزَنِ.

الـحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكـى وبكـى،
واستـوحَشَ القَمَـرُ الرانـي فلـم يَرِنِ.

تَمُـــــرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسألُهـــــا:
أنحـنُ، من بعـــدِه، الآهاتُ للأُذُنِ ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجـدُ في يُتُـم،
شِعْـرٌ بلا المجـدِ رايـاتٌ بلا وطـنِ.

من لِلعُلى ؟ لِلصدارات العُلى ؟... أَبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَـنِ ؟

غنِّينَ غنِّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنــي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشْمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيَـنِ !

حقـاً سيغـدو كذُملــوجٍ بمِعصمهـا
حسناءُ لولاه لم تُشْرِق ولـم تكِنِ[1] ؟

عَتبتُ ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سَيِّـدُهُ
مات ! أآمُـرِ المـوتَ لا يَقْهَـرْ ولا يجن[2] !

أأبـى عليـه أنــا تُبلــي أصابِعُــهُ
مَن عن أصابعه السِّحْرُ انجنى فجُنِي.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُـنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

أَلُـــوذُ بالقبـــر ما أُدري أَأَعْرِفُـــه ؟
أما محَتْ نَقْشتَيْـهِ دَمْعَـةُ المُـــزُنِ ؟

أثُـورُ ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أردُّهـــنَّ وأغـــوى أسْيُفـــاً وقُنـــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤتمِـنِ،

لِهُهُنـالكَ هُمْ سَيْـــفٌ، أَنـــا لِهُنـــا !
أفي بِمجـدٍ وبـي صَرْحُ الوفـاءِ بُنـي.

« رُدِّي جمالَكِ »، يا دنيا، أقولُ مع
الأبطال[١]، « غُرِّي سوايَ » اليومَ وآدَّهني!...

---

١) الكلام للامام علي.

هم يَذْنَقُـــون، وهَمِّـــي النَّـــارُ أُشعِلُهـــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإن يَنْفَذْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... والله ألْبَسُهُ
بِه غَنِـــيتُ وغيـــري بِالتُّـــرابِ غَنـــي.

المعلّم

قرأْتَ كتابَ الكون سطراً محا سطراً،
مُعَلِّمُ، عُدْ فاكتُبْهُ أجملَ ما يُقرا !

أصابعُكَ استولت على العقلِ فازدهى
تُباشِرُهُ نَثْراً فتتركُه شِعراً...

وتلتَفِتُ الدنيا وقد عُلِّقت على
فمٍ لكَ قال السِّحرَ أَو أَبطلَ السِّحرا

لَأَنتَ بيـــال الله كنتَ، بُعيدَمــــــا
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا !

فحــارَتْ: كأَنَّ الليــلَ ليسَ يلفُّهـــا،
ولا يتغــاوى الجهْــلُ يَرمقهـــا شزْرا،

فقـال: آنطِقـي، إِمَّــا تَلعثــمتِ أُقلــقت
ببالـــي أَفازيــرٌ وأَعمِـــدَةٌ سكـــرى،

مِنَ الطُّـرَفِ اللائـــي سأُخْلُــقُ، يومتــا
سأَرتـاح، والأَفكـار تَغمُرنـــي تَتْــرى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقـدةَ الصمت وابسِمي
لِوجهـي، لَقَفْـرٌ أَنتِ مُبتلِعٌ قفـرا !...

علـى أَنهـا الأَرضُ استمـرَّتْ عييَّـــةً،
فَمَـدَّ إِليهـا الخَمْسَ يرسُمُهـا ثغْـــرا،

ورأساً، وبعضاً من خَيـــال أميـــرةٍ،
لها يومَ عدِّ الحُسن يُؤبه أو يُدرى،

فما هِيَ أنْ ضاءَت وغنَّى جمالُهـــا
لها وروى، حتَّى أفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيـــه قُلتَهـــا
كما ستكون الكأسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِـــفُ قلْبهـــــا:
ــ بلى، ربِّ، هاني أشتهي القَلَمَ الحرّا،

ألا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبينٍ، حازِمُ اللمح، أبلَـــجٌ،
يَمُـــــرُّ به نسْرٌ فيَعْرِفُـــــهُ نَسرا.

تصوَّرتُهُ والرَّوضَ. ما بيــنَ زَهــرِهِ
وضِحْكَةِ عيـنٍ ؟ إنَّـه الأَمَلُ افتـرَّا...

تصوَّرتُـه والريـحَ. ما بيــن عَصفهـَـا
وقَطْعِ بمعنىً ؟ إنه سَلْكُكَ الـدُّرَّا...

تصوَّرتـه والشمسَ. ما بيــن بَزْغِهــا
وهَشَّةِ وجـهٍ؟ إنهـا الصِّلَـةُ الكُبـرى.

*

مُعَلَّـمُ، لُمَّ الزقزقـــاتِ وحُطَّهـــا
على فمِ طفلٍ شِئْتَـهُ النَّقْلَ والكَـرَّا.

بمِلْءِ جَناح لم يَطِرْ، إنمـــا رنـــا
إلـيكَ، فأُعـدَدْتَ انطلاقتَـــهُ الحَـرَّى،

وشِئْتَ له أَنْ يَستعيـــرَ شموخَـــــه
من الأَرز غَنَّـــاهُ الزمـــانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أَن يَجْبَهَ السيـفَ بالُـهُ
فيدركَ أَن البالَ يَفري ولا يُفرى.

*

مَن العلّمونا ؟ مَن يكونـون عزمـةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفـى السَّرَّا ؟

رياحٌ ! بلى، هم كالرياح مهابـةً،
على أوجُه الأَخّاذ قد حُفِـروا حفـرا،

وتُعطيك عيـنٌ منهُـمُ قلتَهـا يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِهـا مِن محيًّا الوالِـد الصَّعْبِ لَهْفَـةٌ
تُهيبُ أَن ِ آقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا !

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهى،
ومُبتـدِعُ الأَفكـار فجَّرهـا غَمْـرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتَكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأُخرى...

خواطرُ قُلْهُـنَّ الـخصورَ تمايَـلَتْ،
وقُلْهُـنَّ صار الـحُسنُ مُنْحَـبِساً قسرا.

*

سألتُ الأُولى خَلف القُرى، فَوقُ، علَّموا
تقيهم نَداها، السنديانـةُ، والحَـرّا:

تُرى ثانويـونَ الذيـن احتضنتُـمُ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا!

أُفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتَلْمَذَكَ المُضْفي على رومـةٍ قَدْرا!

هُمُ شيشرونٌ، عندهـم، ربُّ قولِهـم
وعندك، طفلٌ يحفَـظُ اللفظـةَ البِكْـرا.

أَفِقْ من كرىً، لِيبانيوسُ، ارمِهِم به
فمــاً ذهبيًّــا أَنتَ نشْأَتَــهُ صَقْــرا،

فبــــات إِذا ما وَزَّعَ اللهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أَو تَعرى...

أَفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلـى مركُريلٍ السيفِ فتَّته فِكــرا،

فلـم تبـقَ أَرضٌ لم تَهِمْ بخواطــرٍ
له، قلتَهـا الإِنجيلَ أَو شِعرَه نثرا...

أَفِقْ وآغـوَ منهـا، أَنطباطِـرُ، هَتفـةً
لكاتـونَ طارت فهي هتفتُنـا الحَمـرا:

« لَأَمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أَعشْ أَنــا »
وفي الصدرِ شكٌّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُرُّ بدار العمر حيث قضى شطرا،

ونسمعُ مَنْ غنَّته: « طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجترعُ المُرَّا... »

هُمُ لهمُ، أُواهِ ! آنَ يُذيبهم
ضنىً، وهْوَ آناتٌ لَتَهْدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمامُ، وثلِّثْه له الدمعَ طيِّباً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَن غيرُه يدري بأنَّ حياتَه
ينابيعُ حِرْمانٍ ويقصدَها يَمْرا

فإمَّـــا قَسَتْ بالنـــاس داوَرَهـــا يداً
وإمَّـا بدت أقسى به الشمسَ العُـذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتتِن بهم
بَنِيَّ الرِّضى، أمّـا به فافتِـنِ العَصْرا !

هل العصرُ إلاَّ ما استطـــارَ معلِّـــمٌ
من الشَّررِ النَّزَّالِ في الهِممِ النَّصْرا ؟

إذا القـــدَرُ الأعمـــى تطـــاولَ ردَّه
ومِن خلفِـهِ النَشْءُ الأَبيُّ مشى نهـرا !

وتمضي تُغنِّي، ناسَ قِنديلُهـــا ولـــم
تزلْ تشتـري مجـداً وتـرفضُه خُسْرا،

تُغنِّي وقـد طارَ الحَمـام ولـم يعُـــدْ
لِقصَّتِهـــا إلاَّ تأوُّهُهـــا جَهْـــرا.

أُغنيةُ الحُب

كالهِند سرُّ الهندِ أَنتَ، وكالنُّهى
أَوَتنتهي؟ وإليكَ كان المُنتهى!

ماذا! وتَنهزِم السيوفُ كسيرةً
ما نحن، تسأَلُ، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أدَّبتهـا تلك السيـوفَ، فصُنتَهـا
عما تَبـذَّل، يوم يَصطـرعُ البَهـا.

كالهِند أنتَ! لقد جمعتَ كتابَها،
سِفْراً سيُقرأُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـا[1]،

عالٍ، ومِ الثلـج البَتـول بيـاضُه
أوْ مِ الحمالايا وهاتـيكَ الصُّهـى[2].

*

أكملتَها النفسَ الكبيـرةَ[3] لم تَكُـنْ
ظِلاًّ ولـو للشمس تَبـرأُ من كَهـى[4].

---

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أوْدعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكل ما يُرجى، جُبلْتَ، ويُكْتَهى[1].

وَحَدٌ كما رُئيَ المَلاكُ رُؤىً، ومِن
طِيب البساطة أينَ سُلطانُ الدَّها؟

*

ضُربت على الشُّعَف[2] العمالقُ حكمةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لها؟

بالرَّعد لاذت، بالرياح، وبالصِّبا
من أدهُرٍ، وتشبَّثت بالمُزدهى،

حتى إذا بَصُرَتْ بصدرك أفْيحاً
ولَجَتْهُ فِردوساً لها... أو شُبِّها...

---

١) يجلّ.
٢) القمم.

أفـــأنتَ من لُبنـــانَ نسجُ غمامـــةٍ
أَو صوتُهـا، تلك المكوكِبَةُ اللَّها ؟

أَو سكـــرةُ الازميـــلِ نُزِّل مُفْـــرَداً،
في بعلبكَّ، على يَدَيْ رَبٍّ سها ؟

أَنـا بعلبكٌّ لي... ولـي هندُ المـــلَا
أُغرودتـــا بالٍ إذا الوتـــرُ اشتهـــى:

أُغنيَّـةُ الحجر استفـاقَ الى العلـــى،
أُغنيَّـــةُ الشَّعبِ استقـــام فنُزِّهـــا،

تلك السُّمُوُّ وهـذه الرِّفْـــقُ اعتبِـــرْ،
يا خاطري، وردِ الجمـــالَ تألَّهـــا !

هَنَّا خَصَرْنـا الصخر أَعمـدةً، علـــى
إفريزهـــا انتحـــرَ الزمـــانُ مُوَلَّهـــا،

وهنـاكَ قدُّوا النـفسَ كَونـــاً مُفعمــــاً
باللهِ أروعَ ما أبــاح ومـــا نهـــى.

هَنَّـــا الضيـــاءُ مجمَّـــداً ومُقدَّمـــــاً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطـــي ويَرفَـــعُ، ما يدٌ إن قَلَّـــدَت
أُختاً لهـا؟ طابَ التَّفَـرُّدُ مَجبَهـــا!

ولأعْمُـدٌ ينـــهضن، يحملـــن السمـــا
بِدَعُ الجَهالـــةِ هُنَّ أو بِدَعُ النُّهـــى.

وجنـــونُ ربِّك فوقَ عَقْـــلِ عبـــاده
إلاَّ الأُولـى جَعلوا الحجارةَ نُبَّهـا...

وهنـــاك أجنحـــةُ السلام تَخُطُّهـــــا
في الأُفْقِ أقــلامٌ تَرَفَّـــعُ عن جَهـــا[1]

---

1) خراب.

مِن بعضِهـا كان البيـاضُ، وقبلُهـا
والبَعدُ حاضرُها تَشعَّـعَ أوجُهـا...

قالت صفاءَ القلب، وسوسةَ الحِلى،
لحظَ الأُميماتِ النواظِرِ مِن رَهـا[1]،

وكأنما الأنهـارُ مِن بَشَرٍ ومِـن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى !

*

أُغنيَّتـان ! الهنـدُ، سينـاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقى الجمال مجهجِهـا !

هاتيـكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهـذه
أنَّى لها إلهامُ أعمـىً أكمهـا ؟

١) سعة.

مَن قلَّدَ البلـــدَ الكبيـــرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير ! كلاهما لن يُكنها !

*

يا هائماً خَلَلَ الوجود، ألا اشتَعِلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحدى تعودُ الأُغنياتُ كما الهوى
في القلب إنْ صَدْرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِند سرُّ الهِنـدِ أنتَ، وكالنُّهـى
أوَتنتهي ؟ وإلَيكَ كان المنتهـى !

مُلكٌ لكَ العمرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأَبدُ !

مَهابَةُ الأَرز، بنتُ الفارسيِّ، أَنا
نَبكيكَ، فلتتغاوَ السّتّةُ العُمُدُ.

---

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَـن تُرى قال: ليستْ سَبعـةً ؟ أنـذا
عَينِـي إلِيكَ، ألا فليَكْمُـــلِ العَــدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَـعْ عليـه رُبـىً،
وأنت فَلتُجـرَحِ الغَيمــاتُ والجَلــد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصْرُ تَرصُفُـه
ذكـراك. رُبَّـةَ أمسٍ ضَجَّ فيـــه غَدُ.

كأنني بِكَ، يوم انـزحتَ عن جبـلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالديـــن يد!

والخالـدون هُمُ البُـدَّاع، من بَعُـــدوا،
حتـى إذا لحِقت دنيـا بهـم بَعُـدوا.

عانيـتَ، عانيتهـا الجُلّـى، كمـــا لُعَبٌ
للـــكَسْر قد أمَّلوهـــا أنَّكَ الولَــــد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيهـــا سَمـــوتَ بهـــا،
كَذا يَمَسُّ الخريـفَ الطائـــرُ الغَـــرِد.

لأنت والفكـــرُ هَمُّ اللهِ هَمُّكُمـــــا،
والآخرونَ بيـــــال اللهِ ما وردوا..

ماذا تَرَكْتَ خلا الأخلاقَ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: «السنى في حُفرتي بَدَد!»

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحـبست
في دَفّتينِ، كمـا في الغَيمـةِ البَـرَد؟

هُنـــا الـــمساءُ ونيرونِيَّـــةٌ، وهنـــا
فَتاتُـهُ الجبـــلُ المحلـــوِلِكُ الحَـــرِد.

أُختُ التـي بالضنـى والآهةِ اتشحت،
وأسبلت أشقـــراً بالريـــح ينعقـــد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائـــر جُرحٌ ليس يَنضمِـــد !

لا هذه سَكـتَت، لا تِلكـمُ انغمـدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أَقداسَهـا انغمـــدوا.

ومـــــرَّةً هٰهُنـــا الآبادُ عاصفـــــةً
بالنـفس، قلتَ بسجـنٍ قُطِّـع الزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
علـى الشِّعافـاتِ، لا تَستغـوهِ المُلُـــدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحتَرزي
يا قامةَ الرمح، أَنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمـــدٌ جُبْتيرِيٌّ السنـــــى فَرِد ؟

أيٌّ أداتُك ؟ لو خُيِّـــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِـدُ الصمـد،

غططتَــه فــي مِــدادٍ أَنْتَ عاصــرُهُ
م ِ الشمس أو م ِ الرياح الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أَنتَ انضنيتَ ؟ أَلا
أَهِبْ بأَنَّـا قُدامـى الفتــح والجُــدُد.

وُحِّدتُمــا أَنتَ في الآساد باكيــــةً
وبعلــبكٌّ... كلا فَنَّيكمـــــا أَسَد !

تآخـذا، شطرُ بيتٍ وانهيــارُ عُلــىً
مِن باب بانْحسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيُرجِعُني
إلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أَنا ذي، وليشْقَ فَهْو أَنا،
وبعدُ فَلْيَفتَرِقْ عن روحه الجسد ».

وقبلَ أَن أُرجِعَتْ، كانت يراعتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأَعنقتْ لَفْظَةٌ حتَّى لماد لها
مادٌ وقال: « انزِلي في النَّهر نبترد

فان وقعتِ على زَندي وجِعتُ أَنا
للحسن أَطلبه في حَيثُما أَجد!

أَكون عدتُ هباءَاتٍ فيخلُقني
خَلْقاً، كأَنّيَ مما لا أَنا أَرِد.

أَبهى من البدءِ رَدُّ البدءِ ملعبةً،
فالعَبْ بكونٍ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـــدلت قافيـــاتٌ منكَ، فانتبـــهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَّيَـد.

ـــ أَنتِنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجَّاهَلي اذَّكري،
أَمـا لأَنكِ زلفـاءٌ لنـــا سجـــدوا ؟ »

*

خليـلُ، خِلتُ العظيـمَ البعـدُ مُتَّكِـــئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحِكـه أَحـد،

يقـول: « فوقِـيَ فَلْتُنـقَشْ، فلا حجـــرٌ
سِوايَ أُخْلَقُ بالمجد الذي فقـدوا ! »

*

صديقَ لفتـةِ عُمْـرٍ، قد وعـدتُكَ، لا
أَخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إِن وعَدوا.

أَلمعتُ... فاعذِرْ ... فما إِلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إِلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمــي أَنتَ في الحُرِّيَّتيــن: هوى
العُلى، وعَصْفــيَ بالثُّــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا؟... قال لبنانٌ أنا... وأَنـا
إمّـا وُجِـدتُ فبــالأَحرارِ أَنوجــد!

داوِ شعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنـــه العندلـــيبُ.

في هموـــي كان أن تُغـــرَى به،
غُدْ يَعُدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبـــوبُ.

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريـحَ الشَّمـــال اقتَلــعتْ،
لا الدُّجـى يلتـفُّ، لا الهـمَّ ينـــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ :
رُوحَ الـروحِ ، تُحيـــي وتَـــذوبُ !

زُرتَها الأَرضَ ؟... أشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعر، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطـــي فكـــرةً
عنكَ، بل نكهــــــةُ أَنْ ثمَّ غروبُ

في المَـــلاكِ اتَّفقـــوا أَنْ مفـــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمرِ كوبُ.

أتُـــرى من سِربـــــه أَنتَ ؟ أَجِبْ.
أَوْجَـعُ الأَجراحِ أَنْ لستَ تُجيـبُ !

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـمِ تَدْرِ القلـوبُ!

هو في المابعـــــد، في أُغنيَّـــــةٍ
ربَّمـــا تسكُنهـــا أَنتَ تَطـــــيبُ.

أنـــا إن تجمَــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأَه،
لا تُباعـدْ أَو هو القَفـــرُ الجـــديبُ.

أَمسِ، مُذْ دُكَّت قرىً من أَرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــــدَّت بي ثوانٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَني الخاطي يتـــوبُ!

ذاكــرٌ ليلــةَ نادينــا علـــى
رؤيتـي للكـونِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينـــيَ، حتـــى لأَنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأْسُ السَّكـوبُ،

وُجُهـاتُ الحــقّ تهــوى لفتتــي،
قُلتَ وجــهُ الله تهــواه الــدروبُ!

ذاكــرٌ قـولَــكَ بــي منتصــراً
لجُنـوبٍ أَنَّــه ثوبــي الــقشيبُ؟

أَلــبَسُ العِــزَّ إذا أَلــبَسُه
« آتِنا » منّـي كمـا منهـا الشحـوبُ،

كان هَمّـــــي نبشَ ما في أَرضه
مِن ذُرىً راحت عنِ الله تنـــوبُ،

نقـرت صيــدونُ من بعــدي أنــا
وتــراً قيثـارُه الكــونُ المَهــيبُ،

وتغــاوت صــورُ، لا مملكــةٌ
بعـدُ أو قبـلُ تُدانيـهـا تَلــوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كلِمـةٌ تُعطَى تَفـي، صِرنـا بهـا
شُركاءَ الأرضِ نَجْبي ونجوبُ !

وإذا مريــمُ قانــا ارتــعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألــحَّت نبــرةٌ في صـوتـهـا
بعضُها لُبنـانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعــــةُ، فِرِّي من غدٍ
هكـذا يُطَّلَبُ الوجـهُ العَــذوبُ[1]

يومَها، فوق ربىً من عندنــــا،
ظَهَــر اللهُ ومـــا عادَ يغـــيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأساً رضىً،
كان لبنـانُ إذا كانَ الجُنـــوبُ.

كلُّ هذا قلتَـــــه فِيَّ أنــــا ؟
كلُّ هذا أنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْـلك من تيـهٍ كمـا
في الـذي قبَّلَـهُ ضاعَ الصَّـليبُ !

---

١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إنِّي وذكراكِ، الكلامُ اليومَ: ما
تَبْغِهِ يُبْغَ وكالسيفِ يطيبُ.

شئتني أبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أو أُدمّى وتَهاداني الخُطوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كانَ الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَلصعوباتُ العُلى أَنتَ لها،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيبُ،

بالشَّبا تهجمُ ؟ بالصرخةِ ؟ لا
إنما باللينِ مرماهُ غريبُ.

مرَّةً تبسِمُ، تُغري المعتدي ،
وتهزُّ الرأسَ، أُخرى، فتُريبُ.

لائــذاً بالــسحب تدري أنــــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيمِ انهالَت علــى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقــاً ورضىً،
كنتَ، حتَّى لَيُمَنَّاكَ الوجــوبُ.

لا من الأرضِ ولا من نَبْتِهــا
أنتَ. أنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالــوا: رابَهــا
أنْ رأت مَن هو للبال ربيبُ،

أعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليــومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أنا والعندلــيبُ.

عملاقُ مصرْ

شِعْرٌ ولا أنتَ؟... في بُرْدي انضنى ألـمُ
عمـلاقَ مصـرَ، تطلَّـعْ، وانحنـى هـرمُ.

راثٍ أنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكـاً،
نـارٌ ببالـــي وفـــاءٌ كـنتُ أعتـــزمُ

---

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويحهم خطِلوا،
في غفلة الوحي، أنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَلشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأْسُه فوقُ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إثنان أهواهما: نُبلٌ بشِعركَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعبُ الأُمَمُ.

سُكري بشوقي أو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ[1] السُّكْرُ والشيمُ،

---

١) اشارة الى قول شوقي:
إنْ تُكْرِمي، يا زحلَ، شعري إنني
أنكرتُ كلَّ قصيدةٍ إلاّكِ،
أنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك!

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ؟... إخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاء جبهتَك الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرز، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدَّاعِ: مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أَلفُ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طَوَّقتَ جيدي بأني «عَقلُ أُمتنا
يعُلّ مِن سِحريَ» الأثباتُ والهُيُمُ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيفِ تُرسِلُه،
والاصطكاكُ سَكوتٌ عنده القلمُ!

بديعُ رَصْفِكَ، فيه أنت: قامتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّمَمُ،

وفيه من أُسرةٍ قُلتَ الرماحُ نَمَتْ
قوماً، وقلتَ بِخَيْلٍ طارتِ الهِمَمُ!

مصرٌ تنشّئُ ما القوقازُ أَنبتَه
منها الحضارةُ، منه النَّبلةُ الحَكَمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكرَّةٍ عبْرَها الأعداءُ تنهزمُ،

حتى إذا ردَّ شطرٌ آخرٌ لمَعت
أُهزوجةُ النصر يَغوى فوقها العَلَمُ!

أمّا القصيدةُ، مما رُحْتَ تعْمُرُه،
فالبرجُ ماد كمن بالأُفقِ يصطدمُ،

يقول إنَّ ابتهالاً سِرُّ فتنته
وإنَّ دقاً على بابِ السما الحُكُمُ!

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنى غيرُ مَن هجرت
لتسكنَ الدمع في عينيك يَنسجمُ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكونُ لها
بديلةً، وعليها الشِّعر ينهدمُ.

واريتَها لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحىً،
والحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، رِدي
نِيلاً من الشِّعر، يا نيلاً هو الكَرَمُ.

بمصرَ حُبِّبتِ الدّنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أَقولُ: كُتْبٌ الى نجمٍ تُشَدُّ فطِرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِملاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبارُ بنا،
بنبلها ما يزالُ الأَرزُ يتّسمُ.

ومَن أنا لأَردَّ اليومَ بَعضَ ندىً ؟
صُمٌّ قوافيَّ في رَدِّ الندى بُكُمُ.

إنْ شاعرٌ هامَ بالنيل انتشتْ قِممٌ،
في أرضنا، أو تصبّى مادتِ القِممُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كان المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكونُ أُذْنٌ بعدَها وفَمُ.

أُولو النُّهى الصِّيدُ[1] نادَتْهم هياكلُها،
وعِلمُها رَفَدَ الصِّيدَ الأُولى عَلِموا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالها الظُّلمُ راح الحقُّ يَظَّلمُ.

لبنانُ نحن! وها نحن الشهودُ لها،
نَدينُ، يوم انتصافٍ، ليس نَتَّهِمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أنّه العدمُ،

جبيلُ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربّما أبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا.

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأبطالُ إنْ هجموا،

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
على الضميرِ ويبقى أن يُراقَ دمُ!

*

أطللتُ منكَ على التاريخِ رنَّحني،
همي كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَرُ البالُ إنْ يَمْسَسْكَ، عِطْرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجةً أنفاسُها حُرُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتاكَ استجدَّت سِحرَها النُّظُمُ.

غدا الهوى بِدعةً، مرًّا ببال هوىً
وسُكْرَ عقلٍ علىَ القرطاس يرتسمُ،

وآيةً طَرَفَتْ حتَّى ليرشُقُها
غيَّان أنْ أنا ضِلِّيلٌ ولي جُرُمُ...

بالكأسِ أفديكَ، بالدنيا، بساجعةٍ،
بلوزِ نيسانَ للزَّيْناتِ يَبتسمُ،

بالشِّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أشعلَني،
بحظٍّ عيني بعينِ الحقِّ أُلتهمُ!

حتى إذا لاحَ لي أنّي وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيقَ شطرةِ عمرٍ، ذاكرٌ ولَهاً
بِشِعرِ مَطرانَ والألبابُ تحتدمُ؟

أسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمن
من النُّسيمات تُشقي وهْيَ لا عَلَمُ:

ـ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
على بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أنتِ مرتحلٌ!
بقَدِّكِ الشوكُ يَدْمى، أنتِ منتقمُ!!

إنْ كان بالهَزْجِ من صُبْحيكِ لا أمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ؟

حتّى إذا يندري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَململين، وآهَ القولُ والقَسَمُ،

تَهُمُّ شمسٌ بأن تَغْشى فأمنعُها:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآحْلُ يا ندمُ...

وتسألين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي؟
يا قاطفَ الشمسِ، أكمِلْ أو أنا الرِّمَمُ!

ونتهـــي ننتهـــي في قُبْلـــةٍ ولِـــهَتْ
وفـوقُ يغمزُ فينـا بُلبـل رُنُـــمُ...

شيءٌ عن الشِّعـر هذا، آستلَّه كَلِـفٌ
بالشِّعر، أم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ ؟

فلْنبقِـه بيننـــا سرًّ الكـــؤوسِ، بهـــا
يَمـرُّ هاوٍ فيـــدري أنَّـــه الجَمَـــمُ.

*

عمـلاقَ مصرَ، إذا أُعـوِزْتَ في خُلُـدِ
فضُمَّ من خُلْدِنـا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهـرٌ لبنـــانَ منّـــانٌ ولا القِيَـــمُ.

فَلْيَرْوِ الزمانُ

عَلى اسمكَ، بين الحَوْر أُغوى وأُهدُرُ،
أَنا النهرُ، شوقي، أيُّنا اليومَ أشعَرُ ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أَنتَ، فليروِ الزمانُ ويسكُرُ !

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمامَ الطيف، ذاتَ عشيةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبوا، جُنَّتْ بكأسك أخمُرُ،

وحتى اذا غنّى (شفيقٌ) ورُنِّحتْ
بلابلُ واعلولتْ، لِما قال، أنسُرُ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِباً، وتغاوتْ حِكْمةٌ تتأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أو منىً
بيانٌ لذاك (الشبلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكانت نسيماتٌ لزحلَ عليلةٌ
تجي وتهي والليلُ تعبانُ مقمرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أكبرُ أمْ همُ،
نماهم وغنّى أمْ نَمَوْه وخبَّروا؟

همَمتَ بنُطقٍ... انما هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكم يومٌ معي طاب يُذكَرُ.

*

على سنتين الأرضُ دارتْ... تطلَّعي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِرُ...

تقولين ماذا؟ أنا السيفُ والنُهى
لَهَونا بأكوازِ النجومِ نبعثرُ؟

وأنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لها فوق زَنْدٍ غَنجةٌ وتكبُّرُ؟

قصيدةُ، فُضّي السرَّ: خصرُ حبيبةٍ
هنا أم كلامٌ أبجديٌّ مخدِّرُ؟

أنا بعدما اعذوذبتُ أُعبُدُ شِعْرَهُ،
وقعتِ على زَندي وشَعرُكِ أَشقرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قالِ شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستَّرُ... والعُشّاقُ دوماً تستِّرُ...

وقد لا تكونين استجبتِ. رددِتِه
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبَّرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليه زمانٌ، لا براه تحسرٌ،

كما اسمان في بعضِ الحكايات علنقا
مَخِيلَةَ قُرَّاءٍ فجُنُّوا ودُمِّروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفيكِ سأعصِرُ...

أنــا لي أفانيـــنٌ جديـــداتٌ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّــــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنفــــاد ثنيتُــــه،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أنظُرُ ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أنْ ستُستهوى... كفى أنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنــا بالشوكِ أغــرى تفتُّحـــاً
وأوجـعُ من شمِّ العَــرارِ وأعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَحْلَولي لي فيخلـقُ جنـــةً،
ويقطِفُها طَرفي فهـا هيَ أكثــرُ...

نميدُ ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُــرُ !...

تقولين لي: «أهواكَ!» تفترُّ زهرةٌ
ببالِ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أُحيِ التقاءَةَ لفتةٍ
بلفتةِ تلك العينِ تدعو... فأُبحِرُ...

الى أينَ؟... من يدري؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرّي أنني لا أُخيَّرُ!

وألمعتُ أنْ لو يلتقي بفمٍ فمٌ
فألمعتِ أن لو لا يكونُ المقدَّرُ.

وحاولتُ أن أشفى. سوى أنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعي تولُّهٌ،
وأنكِ طوقُ المستحيلِ وأكسِرُ!

*

بعيدٌ قريبٌ... عهدُ رحلةَ بالـــذي
رماها ببالِ النـاسِ حسنـاءَ تطفِرُ...

وآنا هي الشِّعرُ الوحيدُ، أما انتهى
الـى قولـةٍ فيهـا تعـــيشُ وتخطُـــرُ ؟

عروسيَ، حبِّـــي ما بدعتُ. لمنكِـــرٌ
أنا كلُّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أسطُرُ !

بقلبيَ، شوقي، أَنتَ ! بالنهـر، بالنـدى
بكـل شذا وردٍ كمـا الخُلْـقُ يُنشَرُ !

تفينـا الوفـا هذا لأَنَّا علــى الهـــوى
هزرناكَ، يوماً ؟ ما الهوى ؟ النُّبلُ أكبرُ ؟

لَمِنْ أَجلها ها أَنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
على ضِفَّـةِ النَّهْـر، الأَميـــرُ المؤمَّـــرُ

ولكــنَّ منّـا من بكـى. هل سمعتَـــهُ
يسائـلُ، والـتسـآلُ كـالبـــوحِ يؤثَـــرُ:

ــ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كمـا مرمـرٌ هَنّـــا، وهَنَّـــا تمرمُـــرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقـرأُ آهـــاً، طابَ يَشدو ويَـــزأرُ...

يخالـونك الوَقّـافَ: أحـداثُ عصرهــم
لوتك، كما الأطلالُ والرَّكبُ يهجُـرُ،

يضِلُّون ! لا إلَّا الجمـالُ عبدتَـــه،
كبـعضِ الدُّمـى أحداثُهـم بك تعبُـرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ ؟ ما كانوا، ظروفاً تخِذْتَها،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ ...

همُ مفرداتُ المُعْجَمِ السُّودُ سلَّها
لَيرصُفُها كالنارِ غاوٍ مغيِّرُ،

فتسمعُ دنيا ما يقولُ وما يرى،
وتقلقُ بنتُ الغيب نهداً وتظهرُ !

وما الشعرُ ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبعضُ نُهىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أَشعلَ الشطرَ كلَّه،
وشعبِ خرابٍ سوف تبنيهِ أَشطُرُ !

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشمالِ كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَنُّ

عليك تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلّموا ظِفرا، كأن مَسَّهم وهن

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدنٍ
لأن اسوذا أُشعِرت أن طما ٱلغبنً

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجــالُكِ الّاً بالرجولــة لم يَنـــوا

صحيفتُنـا أم سيفنـا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَخَتْ رأسٌ، هنا شمـخ الفـن

شُغِـفْتُ أنـــا بالعنفـــوان، خبرتُـــه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولـكنّنـــي للعنفـــوان بـمرقَـــــم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الـغصن

أسائلنـي: بالـورد، بالشعـر، بالسنـى،
أنـا جئت، أم بالليـل أطرحُـه يرنـو

الـى قلـم لبنـــانُ أحـــلام بـالـــه
وأرزتُــه ما مُكــتساهُ ومـا الرَدنُ

أنا قلمي ــ أفديه ! ــ طفل ازاءه
له الزأر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيـف تُنقـر نبلـةٌ
كعود، وعيني كيفَ يبتسم الطعن

لرَائعةٌ شكَّاتــه يــوم هـجمــة
وصافيــة آراؤه والمــلا جُنُّــوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبـدَّ لــه غَــنّ

وكابِرْ على جرح وقل: لمَ أُصَبْ أنا
ودعْ قيحةَ الحُكّامِ يُسكرها الأَحن[1]

وأجملُها الهمَّات أن غريمها
يميع على الجُلّى كمن هذه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهم به،
هو الراهنُ الغلّاب والآخر الظنّ...

وما ضرّ أن رَدّوا عليك بمثلها
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيِّبةُ السنّ

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلى
سخاءً بلهو، وحدَه اللهوُ لا مَنُّ

١) إضمار العداوة
٢) الخلط
٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغِ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَدْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونٌ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أخت الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمِّيَ لا الدَّنُّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورُ، قلّ الجِسم واكتوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميته
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِه
ولَا غَدَ عزٍّ هِبتِه وهوَ مُكتنٌ[1]

جميعاً جمالُ الروح أنتِ له صدىً
جميعاً بهاءُ الله أنتِ له سَدْن

بنفسجةَ الأقلام، يومُك، أُمَّةٌ
بهِ افتُتنت والعمر أَجْمَلُهُ فَتنْ

لَيُطرِب بالي حملُ قِيثارتي هنا
ولا طَرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعري الذي غنَاك طيِّبتِ بثَّه
كما دقَّةُ المِهباج طيَّبها البُنّ

١) مُخبَأ

رصّعت بالي

رصّعتَ بالي وعُمري ازهــرٌ نضُرُ
كمـا يُرصّع ليــلَ العــاشق القمــرُ

ودارت الأرض، لُقيـانا عـلى ورَق
لقيـا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌّ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطِر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الدرر

وفتّحا الورد من روض ومن رِيَش
وفتتا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصا الجنّ والاحلامَ وانتهرا
بوّابةَ الليل أنْ فلتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كفٌّ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نَسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتْبُ اننا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: نَحلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلك الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنَّ زحْلَ سمـــاءٌ بعضُ انجمهـــا
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنما العــرش حيث الأمّ تنتَظِـــر

تحتجُّ انت بِفلذات لهــم وطـــن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهلـه انشطـروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبرَ مدَّرعـاً
مهابـــةَ الصقـــر عينـــاهُ هوىً شَزر

مجلجـــلاً: أنـــا كلٌّ لا أشرذمُنـــي
على الدخيل انتصرْتُ ؟ الكلُّ منتصَر

وواحـدٌ مجدُ لبنـان الـذي أخـذَتْ
عنه الحـضارةُ ما لـولاه ولا حـضَـر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَـدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا او لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمال، رؤى التاريخ والعِبر

او خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلبكَ اسىً
توجّعتْ مُهجاتُ الحُسن تنفطر

أقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيَمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهَر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منها، كعينيَّ اغلى منهما البصر

جميعُنا لفحَتْنا الحرب: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّق، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ ؟ لبنانُ مندحر !

تراجعٌ نحن ؟ سُكنى في الخباء ؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر توزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفر !

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إفتِنْ بشعرِكَ لكن قلْ تحطّمَه
ممن غوَوا وبذِمات العلى كفروا

لوَحدَه في العداوات الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارض تُرْبُها الطهُر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطٍ وقمّاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتٍ، لها في اللهِ، والتفتت
دوماً الى الله، قل هل بعدَها خُسُر ؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قهّارَ مَن ما غيرُهم قُهروا

وقال مِن خطر نمضي الى خطر ؟
ما همّ ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطر

يا شاعرَ الحكمةَ اعلولتْ كما شرفٌ
هَيمى بما لا حَكى الإغريق لا سَطروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
أأنتَ ربٌّ لِيغشى قفّرَك الزهَر ؟

تلك الأساطيرُ شُكْرُ البال، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشَرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَرَّ لعِملاق وتأتزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غَوَوْا عذارى وزَيْنـاتٍ خواطـرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ مني،
يشقى بها الليـل تلك الخـرَّدُ الفكـر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر !

وقلتَ ما الحـربُ الا القـوةُ أفتُتِنتْ
بنفسهـا، وزهـــورُ الشر لا ثـمـــرُ

وان حرّيـةْ فـــوق الجَمـــال هي
الاحـرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبعلبكَّ أَطاعتهُ العُلى الأُخر

حنتْ عليه السما، أَغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا ! شردْتُ انا ؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى ؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربِتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهـــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كمِ يَعذوذبُ السفر !

يا وردةَ الورد، خُطّي فوق ناسمةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرٌ

عينانِ لا الليلُ مرمِيًّا بغيرهمـــا
ليلٌ، ولا الضوءُ الا منهما خـدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلو كأنْ سحَـر
يقـول ازميلُه: لا ينتهي السَحَر...

وقامةٌ شكُّهـــا شكُّ الجريـــد بدتْ
لِقاهريـن بَهـوا بالحـرب ما انبهـروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ، كما حلُمٌ
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدَر

لأمةٍ صانها عن ذلّة قلمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا؟ أمتّنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر؟

لأنّنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهِنَّ الله يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكَّستُها الأسْيُف، اعبُرْ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبِّي، الـى مـلأٍ
أعلـى، جِثـيٍّ لـه التيجـانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِيْدرتنـا، تعلـو وتنتشر !

آتٍ معي زهرُ لبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولـو لِريشـة عصـرٍ أَن تظلّلـه
لكنتَ كالليـل لفَّ المنتهـى بإبـا

والليـل وحـدَك تدري أيـن مَنبَعُـه
وكيـف كان وكـان اللهُ ما وهبـا

---

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

ـمن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عينـاك ليلَهمـا
ثِقلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعاً تصبَّى الجفن والهُدُبا

بات الذي يقرأ « الايام » مختلياً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبا

*

بعد الكتاب الشجيِّ استُنَّ مُنتهَج
أنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبا

تعلَّم الجيل من طفل تمُرُّ به
أزاهر فترى في وجهه العطَبا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبِّبها
به: « يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليَّ فلم
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا ».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !

*

مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القُبَبا

كما صرعتَ، رفعتَ: الريحُ آيتُها
أنذِ الغِوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشُبا

واليومَ في ظل ما أطلعتَ من فِكَرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتَ «نفرتيتي»
تعود على لِعْباتِ من لَعِبا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولى، وسمَّرها الأغنيَّةَ الذَهبا

مُخَلِياً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثاً حَسداً في الناي إن عذُبا

ومَسحةً لا تنِي سِراً ومفتَتَنا
بأن يُرى أرَباً ما لم يكُن أربا

وشائلٌ بغِواها وهْمُ ان لها
مثلَ الجناحين رفًّا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغاوى في الحديد صِبا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولى ارتحن لاستغبائهن غَبا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أنّ الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنما الله مما نَفهَمُ اقتربا

ذاك الذي تَرك التِمثال متعبةً
للناس قالوا انتهى يومَ انتهى تعبا

إزميلهُ أنت أم لِمْساتُ إصبَعِه؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أُعطى وما خَلَبا

*

ومصرُ ثِنتان: ما احييتَ انت ومنا
أَلهَمْتَ. هذي وتلك الفكرُ منتسِبا

اللهُ؟ أيَّ هُدًى كانت هياكلُها؟
وَمن تَعاجب لو لم تُعْطِهِ العجبا

نادت بُناةَ اثينا من غد، ورمت
في قلبهم شُعلةً تستوقف الحِقبا

واستعجلتهم، فبرّوا امَّهم كرَما
فكّوا الظلامَ وقالوا القولةَ السببا

ومِصرُ مَنْ علَّمت! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنها أنت، طلقٌ بالُها بندًى
كأنها أنت، زهرٌ مرجُها بِرُبى

واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأْك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أَفِضْ
فيهم عتُوَّك، ضِيْءْ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرِّعْ، هنا كسِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.

*

آتٍ معي زَهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تَنزِلِ العَصَبا

ليست من النار لكن مِن ارادتها
تُعطي الهنيهاتِ نبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزِل بقلبي، بِهَمٍّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيح بالريح، بالهبّات غِبَّ صَبا

إنزِل بما ضَجَّ في لبنان من ولهٍ،
بالكِبْر لم ينجرح، بالورد ما انتُهبا

بماردينَ أبَوا الا الحياةَ عُلىً،
بمُمْسكين بقرن الدهر مُطَّلَبا،

بِحبّهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم آنتَ هَبا

تكنْ نَزَلت يبعضَ الصخر مِن جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقَّبتُ، لي عُذري.
مَنــذا يُلَقِّبهــا الَّا بهــا الشُهُبــا ؟

طهَ حسيـن ويكفـي ! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وهل أكفنه الحرموت؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطال تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرَّد

* في رثاء نوفل الياس

تُصفِّق لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمهـا مـا جَمَّـع اللهُ أو بـدَّد

تقيَّـم شعـرا؟ حسبُـه منـكَ هَتْفَـةٌ،
لها الله! بَدْرُ التَّمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنْهُ الحَرْمون؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّـاك، طَلْقٌ فـلا يُربَـدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيتَها خَمرةَ السُّـؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بهـا،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَـخُ تِيهـاً حيـن أذكـر قولـةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

١) لا يُحبس

ـــ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلّني،
« وإن يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أُجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أجَرّدُ مِن ورد؟... أجرّد لا أجرَد

*

ويـــا ناثِـــرَ الـــدُر، المنابـــرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابرُ لَفحَهــا،
وطايبها الشِعـر الـذي بعـدَكَ استوحـد

شهـدتُكَ مـا بيـن الدُهـاة أميرَهـم
وسابِعَها ـــ فَلْتكتَمِلْ ـــ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجَّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسجد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أَيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهدتُك، هل لي أن أردّك زعزعاً؟
تشيل بقوم أو تُحّطُ ولا تَجهد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمرهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

ويا خُطبةً لا النَشْيُ مَسّ جلالَها
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلوتُ شجاعاتٍ أنا، وعَجَمْتُها
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أَفري العقول، أَحكُّها
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهم والغمّ، انتخي
كأَنْ قدرٌ عزمي، كأَنْ قبِّي مُيّد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها :
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسى
أنِ الأرزُ في لبنان أُوقِف لا يصعَد

وأغمضتَ عيناً خلّفتهن سُنِيَّاً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجد

وعدتُك : لبنانٌ يعود، وسيفُه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أخلد

جمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.

فهرست الكتاب

لي صخرة ٧

على شاطئ الذات ١٠

أجملُ الأعراس ١٤

فخر الدّين الثاني ١٦

الهُنَيْهَة ٣٢

تكسّرتِ الأسياف ٣٥

من وردتينِ اثنتينِ الشمس ٤٣

النهران ٥٣

اللون الآخر ٥٩

نهر الذهب ٦٥

كلامي على ربّ الكلام ٦٨
سائليني ٧٢
غنّيتُ مكّة ٨٥
نسَمَتْ ٨٨
شامُ يا ذا السّيفُ ٩١
مُرَّ بي ٩٤
من شاعرٌ ٩٦
المُعلّمٌ ١٠٧
أغنية الحجَر ١١٦
مُلكٌ لك العَصر ١٢٣
داوِ شعري ١٣١
عملاق مصر ١٣٩
فليروِ الزمانُ ١٥١
أختُ الكتاب ١٦٠
رَصعْتَ بالي ١٦٦
آتٍ معي زهرُ لبنان ١٧٩
وهل كنته الحرمون ؟ ١٨٨
رجعت إليك كلك ١٩٣

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

حقـــوق الطبـــع محفوظـــة

الطبعـة الاولى ١٩٧٦
الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون

نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرةً صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان نَقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثَمّرها وبَدَع مدنيّتها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصْرٌ أخذوا يقدرون الجودة فى وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: الهٌ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تَبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » ـــ ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة ـــ بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ الناس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنَوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العادِيَين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلّ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد: «انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة؟» سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء: الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط.

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يَكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكنا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيَّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في

مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثَّل على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يثمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشَّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويٌّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ٢٠٠ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفّعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمِّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص ــ انتَ والغير ــ العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضٌ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْفَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّانِ حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً: نخوةٌ، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذَوق الجمال، وشجاعةَ كلمة خلّاقة، ولفتةٌ تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربةٌ على لُعَبٍ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد

كما الأعمدة ٥
الوثيقة التبادعية ٢٠١